الطب والدواء عند السومريين

نصرت آدمو

112 نيسان 2023

السويد

البدايات الاولى للطب

يمتاز الطب حاله حال العديد من اشكال المعرفة الإنسانية ببداياته الضاربة في القدم التي يلفها ضباب كثيف من الغموض، إلا ان ألثابت تماما هو أن تلك البدايات تزامنت مع مواجهة الانسان لحقيقة المرض وحتمية الموت فسعى الى تدارك أسبابهما بقدر ما امتلك من فهم وحكمة ومهارات بسيطة والاستعانة بالغيبيات والقوى الروحية غير المرئية التي اعتقد بوجودها وبقدراتها ألخارقة. وحاول الانسان البدائي خلال تطوره ان يجد حلا لمعضلة الموت واعتقد بأن الانسان كان مكتوبا له الخلود إلا ان الموت جاء عقابا له لعدم طاعته الآلهة، لذا نجد في احدى الاساطير لشعب البانتو القاطنين في وسط وجنوب افريقيا بأنه كان بأمكان الانسان أن يجدد شبابه بخلع جلده كلما تقدم به العمر وأن من المهم ان يفعل ذلك سرا، إلا ان رجلا مسنا خالف ذلك حيث لم يكن مدركا ان حفيدته كانت ترقبه مما جلب غضب الآلهة وجعلها تمنع هذه البركة عن البشر الى الابد. ويتفق هذا مع قصة آدم وحواء الواردة في العهد القديم من الكتاب المقدس عندما عصيا أمر ألله وأكلا من الفاكهة ألمحرمة فحُرما من جنة عدن وجلبا الموت الى العالم. واما عن المرض فحيثما بحثنا سوف نجد النتيجة نفسها وهي بأن الأنسان ألبدائي لم يعترف بالأسباب ألطبيعية للمرض وأعتبره ناتج عن فعل خبيث من أحد ألألهة او من قوة تفوق بقدراتها قوى الطبيعة او حتى من انسان أخر حيا كان او ميتا وبعبارة أخرى فأنه ظاهرة سحرية وليست طبيعية [1].

لذلك كان في التجربة والخطأ ما يُعَلِمُ الأنسان ولدى الكهنة ما يُرشِده الى ما يجب عليه فعله، وانتقلت حكمة الاسلاف شفاها من جيل الى جيل حتى ابتكر السومريون الكتابة فأصبح بالإمكان اعطاء تلك الحكمة هيئة ملموسة ومستمرة، فجرى جمعها وتدوينها والاحتفاظ بها لحين تطلب الامر الرجوع اليها ما دفع البعض بأن ينهضوا بتعلمها والتخصص والتدريب على تطبيقها خلال تلك الحضارة وما تلاها، فكانت في ذلك نشأة مهنة الطب لأول مرة في التاريخ التي اخذت مسارا جيدا في النهوض خلال الحقبة السومرية وأصبحت على درجة عالية من التقدم في فترة بابل القديمة وما تبعها في الفترة الاشورية القديمة أي (2100- 1500) ق. م. وعلى الرغم من أتساع الرقعة ألجغرافية لمنطقة الشرق الأدنى ألقديم فأن مصدر

كافة ما ورد ألينا من معلومات عن الطب وممارساته في هذه المنطقة أنما جاءت من الواح الطين المكتوبة بالخط المسماري والمكتشفة في مدنها القديمة سوآءا كانت باللغة السومرية نفسها او باللغة الاكدية أيضا مما يعزز الاعتقاد بانتشار تلك المعارف بصورة واسعة في ذلك الوقت الضارب في القِدم [2].

النصوص الطبية المبكرة

تم الكشف عن أقدم كتاب طبي تعليمي على الاطلاق في أنقاض مدينة نيبور السومرية ويعود تاريخه إلى نهاية الألفية الثالثة قبل الميلاد، وكان عبارة عن لوح طيني طوله ما يقرب من ستة عشر سنتيمترا وعرضه التسعة سنتيمترات ونصف السنتيميتر كُتب عليه باللغة المسمارية ما يزيد عن أثني عشرة من الوصفات الطبية المجّربة. ويبدو ان طبيب سومري مجهول في الالفية الثالثة قبل الميلاد كان قد قرر ان يقوم بجمع وتسجيل هذه الوصفات الطبية القيمة لزملائه وربما لتلاميذه أيضا وبقيت هذه الوثيقة وهي بحق أقدم دليل طبي مدفونة في اطلال مدينة نيبور لمدة تزيد عن أربعة الاف سنة حتى كشفت عنها تنقيبات البعثة الاثارية لجامعة بنسلفانيا ومتحف فيلادلفيا في مدينة نيبور، وسوف نتطرق ألى موضوع هذه الوثيقة بمزيد من التفصيل لاحقا [3].

ويمكن للمرء الاطلاع على أقدم مكتبة طبية في العالم إذا ما أراد ذلك وما عليه سوى زيارة المتحف البريطاني في لندن حيث توجد مكتبة الملك اشور بانيبال المكتشفة في اطلال مدينة نينوى الآشورية التي تعود في تاريخها الى القرن الثامن قبل الميلاد. فمن الثابت أن الملك آشور بانيبال كان قد جمع في هذه المكتبة كل ما وجده في القصور الملكية لأجداده من الملوك السابقين وأضاف إليها كل ما استطاع جمعه في عصره وحفظ فيها الاف الألواح الطينية التي تمثل تراث حضارات ميسوبوتاميا في جميع فروع المعرفة وكانت المكتبة مفهرسة ومنظمة بصورة جيدة، ومن بين هذه الألواح كانت هناك مجموعة تقرب من ثمنمئة لوح طيني تُجسد المعرفة الطبية في عصره وتغطي الفترة منذ حوالي 3000 عام ق.م حتى ذلك الحين وتمثل مورد قيم احتفظ به لعله يحتاج الى ما يفيده منه فيكون في متناول اليد إذا مرض في أي وقت. ومن المفيد ان نذكر بان عدد ما تُرجم من النصوص الطبية من هذه المكتبة ألثمينة الى اللغتين الفرنسية والألمانية لا يتعدى النصين فقط . لذلك فأن هذا العدد المحدود وكذلك قلة باقي اللقى الاثارية الإضافية الخاصة بهذا الشأن لا يساعدان على دراسة الموضوع إلا بصورة مقتضبة وبالتالي لا يمكن رسم صورة واضحة للغاية خاصة في موضوع الممارسات الطبية والجراحية [4].

ويمكن القول بان معرفتنا الحالية بالطب السومري وما تلاه من الطب البابلي والاشوري والامراض السائدة في تلك الأزمنة لا تزال محدودة وبعيدة كل البعد عن أطار تأريخي علمي متماسك وسيبقى الحال كذلك حتى يمكن ان تُغني هذه المعرفة بالمزيد من التحليلات الباليو- انثروبولوجية و منها خاصة الباليو- باثولوجيية على بقايا الهياكل العظمية التي اكتشفت في الماضي او سوف يتم العثور عليها في اية تنقيبات

أثرية مستقبلية، وان يتم استعمال الأساليب الحديثة في هذه الدراسات مثل تحليل الحامض النووي الذي يمكن بواسطته الكشف بصورة أكثر دقة عن المزيد من الحالات المرضية الناجمة من مسببات اجتماعية او بيئية طويلة الأمد.

لذلك تبقى النصوص المسمارية ألآن هي مصادرنا الرئيسية للمعلومات كما وصلتنا من خلال التنقيبات ومنها القليل ما كان مكتوبا باللغة السومرية المسمارية بينما اغلبها كُتبت باللغة الاكدية التي سادت كلغة للتخاطب المعرفي في الفترتين البابلية والاشورية بعد تضاؤل الاهتمام باللغة السومرية لصعوبتها البالغة. ولا نشك ان قسما كبيرا من تلك النصوص قد تُرجم من السومرية الى الاكدية ووجدت نسخ منها في مكتبة اشور بانيبال آنفة ألذكر وبالتالي فأن جذور الطب القديم امتدت منذ عهد السومريين زمن ثم خلال الحقب التاريخية اللاحقة.

ارتباط الطب السومري بالدين

ليس بإمكان المرء ابدا ن يتصور المجتمع السومري من دون جذوره ومعتقداته الدينية التي صبغت كافة مجالات الحياة فيه، لذلك فقد عبّر السومريون عن سعادتهم بتمتعهم بالصحة والتعافي من المرض بربطهما بالنواحي الدينية والروحانية ورضى الآلهة عنهم وبالتالي لجئوا الى الصلوات والتعاويذ والرقيات لدفع المرض عنهم واستعانوا جنبا الى جنب معها بالوصفات الطبية المختلفة التي علموا من خلال التجربة المتراكمة بأنها أفادت في شفاء بعض العلل او من اختلال لبعض من وضائف البدن و اتخذت كافة الوصفات عندهم سواء كانت لمعالجة مرضا عضويا او لطرد روح شريرة نفس الدرجة من الاهتمام. وفي ظل هذه المعتقدات ولجهلهم بالمسببات الطبيعية للأمراض وهي كما نعلم الجراثيم والفيروسات والاختلالات الفسلجية التي كشف عنها الطب خلال العصور اللاحقة فقد اعتبروا ان المرض انما هو نتيجة لغضب ألهي بسبب ارتكاب المعصيات والفشل في طاعة ألألهة. وكانت الفرضية الابتدائية في الإصابة بالمرض هي ارتكاب الخطيئة سوآءا كان ذلك عن طريق جريمة عادية أو مخالفة أخلاقية او ربما الفشل في أداء الطقوس الدينية المطلوبة بشكل صحيح. لذلك كان على المُعالج بقصد مساعدة المريض أن يبدأ بقراءة قائمة من المخالفات والذنوب والمعصيات على أمل أن يتعرف المريض على ما ارتكبه منها والتي أدت إلى ما يشكو منه من مرض مما سوف يساعد في شفائه. وهكذا تم الربط بين استقامة الشخصية وتوفر الصحة، وأدرك سكان بلاد ما بين النهرين من السومريين ومن لحقهم من البابليين والاشوريين بصورة مبكرة ان بالإمكان الإصابة بما نسميه مرضًا ذا طبيعة "نفسية- جسدية" خاصة عندما يكون سببه القلق أو الشعور بالذنب. واكد السومريون اعتقادهم بوجود علاقة وثيقة بين الطب والدين من خلال معتقدات الالوهية التي تبنوها وعاشوا بموجبها فكان هناك ربة للطب اسمها "باو Bau" وكذلك عُرفت باسم "نينيسينا Ninisina" الإلهة ألشفيعة لمدينة إيسن جنوب نيبور كما كانت تدعى

أيضا الإلهة "گولا Gula" عند الاكديين وقد جرى تمثيلها بصورة رأس كلب ربما لاعتقادهم أن لعق الكلب للقروح يعود بالفائدة على المصاب [5]. كما كان هناك الآلهة "ديمي Dimme " السومرية وسميت "لاما شتو Lamashtu" عند الأكديين وهي ربة المرض والموت أبنة ألاله (آنو) التي عٌرف عنها قيامها بذبح الأطفال وشرب دماء الرجال وأكل لحمهم ناهيك عن العديد من الشرور الأخرى، وتم تصويرها بشكل لبوة تجثم فوق حمار وتمسك بكل يد من يديها أفعى ذو رأسين بينما تقوم بأرضاع كلبا من ثديها الأيمن وخنزير من ثديها الأيسر [6]. وبالنتيجة فقد نشأ شكلان متوازيان من العلاج الاول يكون في تطبيب الابدان والثاني في علاج الأرواح وبالتالي كان هناك اختصاصيين إذا ما صح القول قاموا بممارستهما بأساليب مختلفة وتعايشوا سوية في المجتمع السومري على الرغم من ان العلاج الروحاني ربما اخذ الاولوية على علاج البدن [7].

وعن ارتباط الطب بالدين يمكن ان نأخذ من علاج الأسنان عند السومريين والبابليين مثالا جيدا على ذلك حيث تشير الدلائل المستقاة من النصوص الكتابية المبكرة ومن المكتشفات "الباليو ثولوجية" من العصور القديمة بأن الانسان أبتُلي بألم الأسنان منذ بدء الادراك عنده، وكما كان الموت للإنسان امرا مقدرا عليه كان في ألم الأسنان أيضا قدر له، لا تفيده فيه قوة ولا عظمة شأن، وارتبط الاثنان معا بحكم الآلهة وأمرها ففسَره البشر مستندين على معتقداتهم الدينية. وبحسب تلك المعتقدات فقد كان ألالم ناتجًا عن دودة سمحت لها الآلهة أن تتغذى على الأسنان واللثة مسببة الضيق والالم، وجاءت هذه المعلومات من قرص مسماري كُتبت عليه تعويذة ضد ألم الأسنان كانت مما يجب على معالج الاسنان تلاوته قبل المباشرة بقلع سن منخور ومتسوس. وكان النص مدون باللغة الأكدية ويعود الى حقبة بابل الجديدة (625- 1000) ق. م غيران من الواضح انه استند على نص أقدم من ذلك بكثير وهذا ما ورد فيه :

"بعد ما خلق "آنو Anu" السماء خلقت السماء الأرض، ثم خلقت الأرض مجاري المياه، وقامت مجاري المياه بخلق المستنقعات، فخلقت المستنقعات الدودة؛

ذهبت الدودة باكية الى "شمش Šamaš" ووقفت قدام "إيا Ea" وذرفت الدموع سائلة:

ـ ماذا ستعطيني لأكل ؟ ماذا ستعطيني لكي امتص؟

ـ سوف اعطيك تينة ناضجة او مشمشة، قال لها "إيا"

ـ وما عسى ان افعل بالتين الناضج او المشمش؟ أرفعني الى الأعلى ودعني اسكن اللثة ،بين السن واللثة، ومن اللثة اقضم بحفرة السن! أجابت الدودة.

وهنا يؤمر المعالج ان يدخل الابرة (الملقط !) الى تجويف السن ويمسك الدودة من ذيلها مرددا:

ـ بحسب ما تفوهت به ايتها الدودة عسى "إيا" أن يضربك بيده الجبارة .

يباشر المعالج بعد ذلك بتركيب الدواء بخلط نبات "البيلاتو billatu" مع حفنة من "البوكلو buqlu"

واضافة الزيت اليه ويعيد قراءة التعويذة ثلاث مرات قبل ان يضعه فوق السن لمداواته.
وهنا من الواضح بأن المشهد هو لأسطورة يعاد تمثيلها باستحضار القوى ألآلهية بأن يقوم ألمعالج بعد تشخيصه للداء بفعل ما يتطلبه العلاج الذي قد يكون بقلع السن نفسه او سحب العصب المصاب قبل ان يضيف فوقه الدواء [8][9][10].
ويستمر المعالج بإعطاء المريض وصفة طبية لغسول للفم تتكون في الغالب من البيرة وزيت بذور السمسم. والملاحظ عدم ورود ما يشير الى استعمال أي نوع من التخدير قبل الجراحة كما لا نعرف ما إذا كان هناك معالجون متخصصون في علاج الأسنان ام إذا كان الامر مجرد جزء من الممارسة العامة في التطبيب .
ومما تجدر الإشارة اليه أن شعار مهنة الطب لدى السومريين كان عبارة عن عصا مقدس التفت حوله عدة افاعي وهو أصل الشعار الذي أستخدمه الإغريق القدماء لاحقا كما استوحت الجمعية الطبية الامريكية شعارها منه هي الأخرى. أما سبب ارتباط شعار مهنة الطب عند السومريين بالأفعى فيرجع الى مقدرتها على نزع جلدها وبالتالي تجديد شبابها ويمثل هذا الامر التحولات المتمثلة بالولادة والحياة والموت، كما ان قدرة الافعى على العيش تحت الأرض وفوقها وتحت سطح الماء تجعل منها من أكثر مخلوقات الارض معرفة بالقدرات الشفائية العجيبة للطبيعة سوآءا في مياه العيون اوفي الازهار والاعشاب لذلك فهي الاحق من غيرها بأن تُعتبر رمز للصحة والعلاج. وظهر ارتباط الافعى بالطب لأول مرة في الخرافات والملاحم القديمة للسومريين منذ خمسة الاف سنة ومن أبرزها ملحمة گلگامش التي تعود الى 2800 عام ق. م وفيها تختطف الافعى عشبة الحياة من البطل گلگامش الذي كان يسعى الى الخلود بعد ما اخرجها من تحت الماء وما ان ابتلعت تلك العشبة حتى اخذت بخلع جلدها وتجديد شبابها [11].

من كل ما تقدم فأن من الأرجح بأنه كان على السومري إذا ما أحتاج لمعاينة طبيب ان يبحث عن ضالته في أحد أكبر المعابد في مدينته الذي غالبا ما حوى بين جدرانه على مركزا طبيا صغيرا ومدرسة أيضا.

الأمراض السائدة في الفترة السومرية وما بعدها

مما لا شك فيه أن التمتع بحياة طويلة مقرونة بجسم متعافي وعقل سليم كان أمرًا مثاليًا في ثقافة بلاد ما بين النهرين. فهكذا شعرت الكاهنة الكبرى "أدا غوبي Adda-guppi" أم "نابونيدوس Nabonidus" ملك بابل من سلالة بابل الجديدة وقد عاشت مائة واربعة سنوات كاملة بين منتصف القرن السابع ومنتصف القرن السادس قبل الميلاد عندما روت بفخر ما يلي:
"كان بصري جيدًا، وسمعي ممتازًا، وكانت يداي وقدماي متعافين أما كلماتي فقد اخترتها بعناية وأعجبني الطعام والشراب وكانت صحتي جيدة، وفي باطن عقلي أشعر بالرضى" [12].

وأدرك السومريون ومن جاء بعدهم من شعوب ميسوبوتاميا العلاقة القوية بين التغذية المنتظمة والصحة الجيدة في ذلك الوقت وكأن لسان حالهم يردد المثل الإنكليزي الحديث القائل "تفاحة في اليوم تغنيك عن الطبيب"، ويتوضح هذا الامر بصورة جلية في رسالة بعثها طارد الأرواح الشريرة المدعو "أدد- شومو- أوشر Adad-šumu-uşur" إلى الملك الآشوري أسرحدون (680-669) ق. م حيث يخاطبه قائلا:

" أكل الخبز وشرب الخمر سيزيل قريباً مرض الملك، وعندي نصيحة جيدة يجب ألأخذ بها: إن القلق وقلة الأكل والشرب يزعجان العقل ويزيدان من المرض، وفي هذا الأمر عسى ان يسمع الملك عبده ".

ويُظهر تحليل النظام الغذائي الذي كان سائدا في بلاد ما بين النهرين والمبني على المعلومات الواردة من خلال النصوص المكتشفة او من التنقيبات الاثرية الأخرى وجود مجموعة غنية ومتنوعًة للغاية من المواد ذات القيمة الغذائية العالية في ذلك الحين. ولا يرجع هذا الامر إلى الظروف البيئية الملائمة فحسب بل الى اتساع الأراضي الزراعية وكذلك الحرجية مما ادى الى تنوع اشكال الحياة البرية من نبات وحيوان وزاد من قدرة الأرض على توفير الغذاء الجيد والمفيد. فكان هناك الحبوب ومنها الشعير والقمح لصنع أنواع الخبز والبيرة والمنتجات الحيوانية من حليب وسمن وعسل أضافة الى حيوانات الذبح من الضأن والابقار والجاموس والخنازير كما الدواجن والبط والإوز والغزلان والطيور والاسماك. ناهيك عن البقوليات من حمص وعدس وفول، ومن الثمار المشمش والتمر المستخدم في صنع البيرة أيضا والزيتون والعنب والتين والجوز والرمان، ومن الخضار البصل والثوم والبيقة والبازلاء والفاصولياء والخيار والبطيخ والخضراوات الجذرية ومجموعة كبيرة متنوعة من التوابل مثل الكمون والكزبرة والحلبة وغيرها أضافة الى السمسم الذي أستُخرج منه الزيت.

وبالرغم من هذه الصورة العامة المشرقة لجودة الغذاء فأن النصوص السومرية والأكدية تشير بوضوح إلى وجود مخاطر صحية كبيرة أدت إلى ارتفاع معدل الوفيات عند الولادة او في الطفولة المبكرة وقللت من معدل عمر الافراد عامة، و جاء ذكر الامراض والعلل في النصوص الواردة الينا في وصف الحياة اليومية فكانت المسببات تكمن في سوء التغذية او سوء حفظ الطعام ومخاطر المياه والطفيليات والحيوانات من أفاعي وعقارب وكلاب مسعورة ومن النبات المسمومة أيضا. ومن تلك الامراض على سبيل المثال مرض التيتانوس او الكُزا ز " شاشاجو *šaššaţu*) الذي انتشر بصورة واسعة بسبب مشي الناس حفاةً في بيئة غنية بجراثيمه. وجاء وصف اعراض هذا المرض في أحد النصوص الطبية البابلية المتأخرة من مدينة اوروك كما يلي :

"وإذا ما ابتلي الانسان "بألاشاشاجو" يصبح مثل حية ضُربت على رأسها، فلا يأكل خبزا ولا يشرب ماءا ولأقض له مضجع ويقضي أيامه في خوف وهلع، ولا يقدر على تحريك اطرافه شاعرا وكأنهما قد بُترا مثل قصبة مالت برأسها"

اما الاوبئة فقد كانت تحصل بصورة متكررة خاصة في حواضر المدن وتنجم عن عضات البراغيث المصابة لذا نرى في رسالة من ممثل فرعون الى ملك بيبلوس في سوريا في خطاب له يعود الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد وفيه يتساءل :

"قلت لي في رسالتك بأنك لن تسمح للرجال من سومر بدخول مدينتك..... فهل ثمة هناك من وباء في سومر؟ وهل يصيب هذا الوباء الرجال أم يصيب الحمير؟ ...وما الوباء هذا الذي يصيب الحمير حتى يصيروا غير قادرين على المشي؟ ... احترس: هل هذه الحمير تعود للملك أم لا؟ ... إذا كان الملك هو صاحب الحمير فابحث عما أصاب الملك!".

وخلاصة القول فأن العوامل الاجتماعية والبيئية ألمسببة للأمراض كانت حاضرة في تفكير السومريين ومن تلاهم من شعوب ميسوبوتاميا، غير ان هذه العوامل لم تكن هي الروافد الوحيدة لتفسير مسببات الاعتلال وانتشار الامراض فعلى سبيل المثال هناك إشارات في النصوص الطبية القديمة على ان الاثار النفسية للحزن الشديد يمكن ان تقود الى الاضطرابات البدنية ونتائجها الوخيمة وحتى الوفاة أيضا كما أسلفنا. وهكذا يمكن العثور في تلك النصوص على تلميحات عن الآثار النفسية للحزن ومنها الاضطرابات الإكتئابية الخطيرة أو اضطرابات الهوس والاكتئاب وكذلك على الافعال اللاإرادية القاهرة مثل المشي جيئة وذهابا بذهن شارد والتجول هنا وهناك من دون هدف محدد، أو لحالات مغايرة مثل الجمود لفترات طويلة والامتناع عن الكلام. لهذا ربما ليس من قبيل المصادفة أن يتصدر المرض النفسي قائمة أسباب الوفاة ففي نص أدبي غير واضح التفاصيل من نينوى يرد ما يلي :

"(هل) التوتر والحزن والاكتئاب هو الذي (أنهى) حياتك...(أو هل) "المام إيتو mãmītu" (أثار) شهيتك بنمو من "الفطْر؟ (أم) تعويذة شريرة أو افتراء خبيث (رُميا) قدامك ؟ ...أو قل إن ألاها قد عاداك؟ وقال عنك "هو سيموت قبل وقته؟

وهنا فأن "المام إيتو" بحسب اللغة الاكدية يعني ارتكاب إحدى المعصيات مثل الحنث بقَسَم فتحل لعنة الآلهة على مرتكبها وبالتالي التسبب بحالة مرضية نظرا لتعكير صفو العلاقة معها.

وهناك أيضا نص بابلي قديم للتعريف "بالمام إيتو" المسبب لحالة من الانهيار العصبي نتيجة لخسارة المرء أمواله وأسباب رفاهيته وفيه وصف دقيق لهذا الانهيار كما يدرج أسبابه ونتائجه وفيما يلي نصه:

"إذا عانى رجل حر من نوبة طويلة من المحنة ... ولم يعرف كيف أصابته .. وعانى باستمرار من الخسائر والحرمان ...من فقدان الشعير والفضة وخسارة العبيد والجواري.... وكذلك نفوق الثيران والخيول والأغنام والكلاب والخنازير... وحتى موت الرجال الآخرين في منزله...وإذا أصابه التوتر مرارا ... ولم نُطاع أوامره او لم يُستجاب لطلباته او تُحقق رغباته... وفي ذات الوقت كان عليه ان يستمر برعاية أسرته ... تراه يرتعد خوفا في غرفة نومه ولا تقوى اطرافه المترنحة على حمله... واذا أمتلأ غضبا على الاله وعلى الملك ... واذا ضعفت أطرافه وارتعد خوفا ولم يقدر على النوم لا في النهار ولا

في الليل وراودته الاحلام المزعجة ... وارتخت اطرافه لامتناعه عن الطعام والشراب ... ولم يسعفه لسانه بالكلمات.... فهذا الرجل قد حل عليه غضب ألألهة "[13].

لقد فهم السومريون عامة طبيعة الامراض وأدركوا أن البعض منها كان نتيجة لعلة في البدن مرجعها من الطبيعة ومنها الاخر ما كان مرضا نفسيا سببته حالات الحزن او القلق والكآبة، واعتبروا أن كلا الحالتين هما مظهرين من مظاهر عدم رضى الالهة. لذلك فأن من المفاهيم الخاطئة عن الطب السومري وما تبعه في الطب البابلي والاشوري بانه كان مبنيا بصورة مطلقة على الاعتقاد بخوارق الطبيعية فقط مثل القول: "لقد أصابني المرض لأني أسأت ألى الالهة" وجاء ذلك فعلا في بعض النصوص المكتشفة التي ورد فيها أيضا:

"كانت يد الرب ثقيلة علّيَ ولم أستطع ألتحمل" وأن "بعضهم قد رماني بلعنة" و "روح شريرة قد مسّتني" و " أن روح حاقدة او ساحرة ارادت الأذى بي". وفي هذه الحالة قد تكون تلك الروح لأحد المتوفين من الأقارب الذين أهملهم ذويهِم في حياتهم او من أولئك الذين ماتوا بسبب صدمة او من الغرق.

إن كل هذه الاقوال تنم حقا عن التدين الشديد الذي عُرف به السومريون غير انها لم تكن بالضرورة كل ما فكّر به ممارسي الطب والمعالجون في تلك الأوقات. فقد عرف هؤلاء بأن البعض من مسببات المرض قد تكون طبيعية أيضا مثل تناول طعام مسموم او ماء ملوث وحتى الافراط بالطعام والشراب او الإصابة بمرض معدي وكذلك الإصابة بأحد أنواع الحمى.

ولدينا ما يفيد بأن البابليون ومن قبلهم السومريون عرفوا العديد من أنواع الحمى التي كانت من اعراض الامراض المختلفة وأطلقوا عليها التسميات حسب اعراضها ومنها كان هناك "إي ساتو isatu" وتعني "نار" وهي استعارة مجازية للحرارة العالية ثم هناك "أومّو ummu " وتعني الحمى المتكررة او المتقطعة. وهناك أيضا "ليئب li’b’ " وهي ما يرافق الامراض المعدية و"ديئو di’u" المصاحبة للأمراض المتوطنة وربما كان المقصود من بينها الملاريا او حتى الانفلونزا او التيفوس او الزحار (الديزانتريا)[14].وكان هناك ذكر لنوع اخر من الحمى المصحوبة بالارتجاف والبرد الشديد وتيبس الأطراف وسميت "سوروپو suruppu " تصاحب تلوث الجروح وتعفنها واخرى " هاماتو hamatu " ترافق الالتهابات وخاصة المصاحبة للأمراض الجلدية وكذلك "هيمتو himtu " وتخص إصابات الجلد بالحروق. وبالتالي كان هناك العديد من الامراض التي صاحبتها الحمى.

وتذكر احدى الدراسات الطبية الحديثة التي تبحث في الأحوال الصحية للسومريين قبل 2000 عام ق.م بأنهم أصيبوا بأمراض منها ما كان منشأه حيواني"zoonoses" بسبب معيشة الأغلبية الفلاحية من سكان الريف بتماس مباشر مع الحيوانات المصابة سوآءا الاليفة منها او البرية كالخفافيش والخنازير والكلاب والذئاب والقطط والقمل والذباب والبراغيث والقراد والبق والبط والمعز والاغنام والخيل والارانب والفئران والقواقع، او بسبب سوء حالة الاصحاح في المدن لكثرة المزابل ومياه الصرف الصحي القذرة

والآسنة. فكان بأمكان هذه الحيوانات التسبب بأمراض وأوبئة منها "الجمرة ألخبيثة anthrax " و"داء البروسيلات brucellosis " و"الطاعون الدبلي bubonic plague " وكذلك "الكوليرا cholera " و"التهابات الدماغ "Encephalitis " و"الاشريكية القولونية Escherichia coli " و "داء الكلب rabies" و "داء السلمونيات salmonellosis " و"التولاريميا tularaemia " و"التيفوس typhus " هذا بالإضافة ألى امراض أخرى مثل الملاريا والجدري والبرص والسل والانفلونزا والحصبة والتيفوئيد والزحار و"شلل الأطفال Poliomyelits " والحمى النزفية [15][16].
وتفيد نفس الدراسة بعدم إجراء أية تحليلات للحامض النووي "DNA" على البقايا العظمية التي اكتشفت في تنقيبات مدينة اور من قبل السير ليونارد وولي التي تعود للمقبرة الملكية والتي ترجع في تأريخها ألى حوالي 2500 عام قبل الميلاد لذلك فمن الصعب جدا استنتاج فيما اذا كانت الامراض المعدية هي من أسباب الوفيات وعليه تبقى النصوص المكتوبة على الواح الطين مثل "رثائيات اور" المصادر الوحيدة المعتمدة لهذا الغرض. وتسترسل هذه الدراسة نقلا عن نظرية قدمها "هارفي فايس Harvey Weiss" من جامعة يل الامريكية يبين فيها بأن من المرجح أن احد أسباب انهيار الحضارة السومرية حصول سلسلة من الاحداث المتعاقبة كان أهمها أنتشار الامراض المعدية والأوبئة في المدن السومرية بسبب ازدياد كثافة السكان فيها وبالتالي تفاقم الحالة الصحية فيها بعد أن غزاها العموريين والعيلاميين وهجّرتهم اليها بسبب موجة الجفاف الشديدة التي بدأت في حوالي 2200 ق. م ضربت مناطقهم وامتدت لفترة ثلاثمئة سنة [17][18].
وتُبين دراسة أخرى مبنية على تحليل نصوص الرثائيات لمدن سومر المختلفة وصف لأعراض الامراض التي اصابت الناس وكيفية انتشارها والاثار العنيفة التي خلفتها في المدن السومرية. وتُشخص هذه الدراسة البعض من تلك الأوبئة فتٌرجح أن يكون وباء الطاعون الذي أنتشر في حوالي 2000 ق.م هو السبب في تدهور حال المدن السومرية والرقعة الجغرافية الواسعة التي انتشر فيها وانه جاء قادما من بلاد العيلاميين في جبال زاكروس، كما تُبين ان الأوبئة الأخرى مثل الكوليرا والملاريا والانفلونزا على الرغم من ما تسببه من موت الجماعي تكون عادة متمركزة ببقع جغرافية محدودة وتحكمها الظروف البيئية المحلية المحيطة وتستمر لفترات زمنية قصيرة نسبيا. وتٌضيف بأن مرض الملاريا كان متوطن أصلا في المنطقة وأتخذ شكل الوباء في أنتشاره [19].

ممارسي الطب السومريون وأساليب العلاج

مما تقدم تميز الطب السومري بوجود طريقتين في العلاج فكان الاسلوب الأول يعتمد الوصفات العلاجية والعقاقير كقاعدة عامة وقام به ممارس الطب الباطني ويسمى "أسو Asu" و تعني ترجمته الحرفية باللغة السومرية "من يفهم بالماء". وقد ورد اسم اول طبيب من هذا النوع لأول مرة في لوح طيني أكتشفه السير

ليونارد وولي في أور يعود بتأريخه الى 2700 عام ق. م وكان أسم هذا الطبيب "لولو Lulu".
أما الأسلوب الثاني فقد اعتمد استخدام الطلاسم والتعويذات لطرد الأرواح الشريرة التي تُسبب المرض أيضا. ومارس هذا الأسلوب الروحاني في العلاج من كان يطلق عليه لقب "أشيبو Ashipu". وكان لكل من هذين الأسلوبين طرقه التقليدية المتبعة لضمان شفاء المريض كما كان هناك إمكانية الجمع بين هذين الاسلوبين في الحالات الصعبة. ومن الواضح فأن الطب ألروحاني أعتمد ألدين والغيبيات أساسا له ولم يكن هناك خطا واضح تمام الوضوح يفصل بين الدين والعلم كما هو الحال في الوقت الحاضر، غير إن اعتراف الطب الحديث بشكل متزايد بالترابط الوظيفي بين العقل والنفس واستخدام العلاج النفسي في الطب هو تعزيز لهذا التصور القديم حتى وإن كان هذا الاعتراف قد يبدو خجولا بعض الشيء.
وبناءًا على ما تقدم يمكننا ان نعتبر "الأشيبو Ashipu" على انه معالجا روحانيا بالدرجة الأولى إلا أن اهتمامه بالأعراض الجسمانية أيضا واستعداده لاستخدام العقاقير عند الضرورة دليل على استعداده لتقبل المنهج الثاني في العلاج اذا ما اقتضى الامر ذلك. وفي هذا الصدد من المهم أن نتذكر أيضًا بأن التعويذات بالنسبة للمؤمن يمكن أن يكون لها تأثير نفسي قوي في تعزيز التعافي خاصة إذا كانت هذه الأمراض قد تفاقمت بسبب القلق والشعور بالضياع. وفي حين من السهل إعتبار العلاج الروحاني الأكثر قِدما من الاستخدام العلمي للعقاقير يجب أن نتذكرأن استعمال العقاقير قد يكون هو الآخر قديمًا قِدم العلاجات الروحانية أيضا، وربما نشأت كلتا الطريقتين في وقت واحد يمتد الى أعماق التاريخ وجذورالانسان الأولية، خاصةً إذا ما كان الانسان ينظر إلى العقاقير كونها استُخلصت من النباتات والمعادن التي هي في نهاية الامرمن صنع الإلهة. وكما أسلفنا لم يكن هناك تنافس بين ممارسي الاسلوبين العلاجيين بل يلاحظ تعاونهما معا في العديد من الحالات الصعبة. وبحسب ما كشف عنه أحد أرشيفات المراسلات الملكية كانت هناك حالات استعان فيها الطبيب بالتعويذات واستخدم المعالج الروحاني العقاقير[20]. ومن المرجح أن يكون الاثنان قد تعلما مهنتهما في نفس المدارس مستخدمين الكتب من الواح الطين [21].

إن من المهم ان ندرك بأن الطبيب السومري الذي قام بتحضير العقاقير المختلفة واستعملها في العديد من الوصفات العلاجية لم يكن رجلا اعتياديا او ممارس ضيق الأفق حيث ان الوصفات التي كتبها على الواح الطين امتازت بأسلوبها المنمق مستعملا المئات من العلامات المسمارية التي تعطي بمزجها مع بعضها الالاف من المفردات المختلفة، فهي تنم على ان هذا الشخص قد أمضي ردحا طويلا من عمره في المدارس السومرية "اديوبّا edubba" حيث درس واستوعب ما جاء في الكتب التي أعدها استاذه المتخصص (الؤمياس ummia’s". يضاف الى هذا فقد كان للطبيب اهمية اجتماعية كبيرة ويمكن استنتاج ذلك من الاختام الاسطوانية لطبيب عاش في مدينة "لگش Lagash" احتل منصبا مهما في أيام حكم الملك "أور ننكرشو Ur- Nangirsu" ابن الملك "گوديا Gudea".

وعلى الرغم من أن العديد من النصوص المسمارية العديدة التي تخص الطب السومري قد اكتشفت لحد الان إلا أن هناك اغفالا واضحا فيها للجراحة، ولا يعني هذا ان سكان وادي الرافدين لم يمارسوا الجراحة غير ان من المحتمل ان التقنيات الجراحية قد تم تداولها شفهيا وتم توضيحها بتطبيقات عملية. وجاء ذكر لبعض العمليات الجراحية في شريعة حمورابي حيث ورد ذكر لاستعمال السكين في الطب، فقد استعمل "الاسو" السكين فعلا عندما وجد حاجة لها. إضافة الى ذلك أوردت العديد من النصوص السومرية والبابلية والاشورية أسماء لأدوات كانت تستعمل في الجراحة مما يدل على القيام بالعديد من العمليات الجراحية حينذاك.

لقد كان للجراح مجموعة متنوعة من الأدوات لاستخداماته وكثير منها مشابه ومشتق من تلك التي يتم استعمالها للاغراض المنزلية لذلك من الصعب في كثير من الأحيان التمييز بين الأدوات التي يستخدمها الجراح وتلك المستخدمة منزليا. فكان هناك مثلا الملعقة او الملعقة المسطحة "giš, اوdilim او itgutu" وكانت تُصنع من الخشب او المعدن وجاءت بأحجام مختلفة ولاستعمالات مختلفة أيضا مثل دهن المراهم وسميت عندئذٍ "napsal/stu)". اما الانبوب الدقيق جدا المصنوع من ساق القصب المجوف "MUD أو MUD.A, uppu" فأستُعمل لمص السوائل وصُنع أحيانا من الرصاص "MUD.Á.BÁR او uppu barû" واستعمل لأدخاله في الاحليل او في الاذن الخارجية او من اجل التقطير في العين . كما كان هناك انواع اخرى من الانابيب المختلفة الاشكال من اجل إضافة الادوية سميت "zírqu" وصٌنعت من الطين او الخشب. واستعملت الملاقط المعدنية التي عُرفت منذ القدم لاستعمالها من قبل النساء في أزالة الشعر وكذلك أستُخدم المقص أيضا "si/erpu ". ووجد موس الحلاق استعمالا له كمشرط للجراح وسمى "GiR.ŜU.I او naglabu" وكان عبارة عن أداة كبيرة مصنوعة من النحاس وتشبه السيف [22].

وفي هذا الصدد فأن هناك بعض النصوص السومرية المبكرة الواردة من أواخر الالفية الثالثة ق.م وكذلك في العديد من النصوص البابلية المتعددة التي امتدت في تواريخها حتى الفترة السلوقية (320- 100 ق. م) تشير بان "الأسو" كان مكلفًا بالعديد من اشكال الجراحات المختلفة مثل تجبير العظام الى فتح الدمامل وتنظيف الخراج منها وكذلك معالجة الجروح الناجمة عن الحروب ناهيك عن استخدام الضمادات العادية والضمادات الزيتية ووصفات الأعشاب في حالات الامراض الباطنية والظاهرية، أما عُدَّته بالإضافة الى ما تقدم فقد كانت مجموعة قوارير حوت على المراهم والبخُورات.

لقد كانت الآلهة "گولا Gula" هي مرجع "ألاسو" وشفيعة مهنة الطب وقد نُقل حولها ترتيلة تقول فيها عن نفسها بأنها استلمت سر مهنة "الطب وهو من أسرار الآلهة من آله الحكمة "أى Ea". وكان معبد الآلهة "گولا Gula" الرئيسي في "إبسن" حيث يعتقد بأن التدريب على مهنة الطب وممارسة العلاج والتطبيب قد جريا فيه على الرغم من أن المعلومات عن هذا الامر تعتبر غامضة لحد ألان. وقد تم الكشف في أحد أقسام المعبد المذكور عن عدد من الهياكل العظمية تظهر بعض التشوهات في المفاصل والعمود

الفقري أضافة ألى دمية صغيرة من الطين نُقشت عليها اشكال لأجزاء مختلفة من جسم الأنسان مع صورة لكلب كان يعتبر رمزا لهذه الآلهة [23].

وتُشير بعض النصوص السومرية التي تدرج أنواع المهن التي مورست في تلك الفترة الى ما يعُتقد أنهم كانوا أطباء بيطريون فكان هناك مهنة تحت اسم "معالج الثيران" وأخرى باسم "معالج الحمير" ولم يرد غير ذلك في نصوص الكتابات السومرية المكتشفة لحد ألان.

أما ممارس الطب الآخر المشهود له على نطاق أوسع في علاج امراض الانسان فكان "الأشيبو Ashipu" الذي سبق ذكره والذي وصُف بأنه "طارد الأرواح الشريرة" أو "الساحر" وحتى "ألمشعوذ" أحيانا. ويجد هذا الوصف تبريرا له من حقيقة أن المجال الفكري الذي تحلى به "الأشيبو" أتصل بالعِرَافَةُ المبنية على الملاحظة والاستنتاج وتفادي قوى الارواح الشريرة الضارة وبالتالي فأن جُلّ تركيزه كان على حماية البشر من شرها من خلال اشكال مختلفة من " المساومة" مع هذه القوى الفائقة الطبيعة. وبذلك فأن تدخله الشفائي امتد من التكهن بنوع المرض اعتمادا على أعراضه الطبية الى الطقوس والتعويذات المُقاومة لذلك المرض، وبالتالي امتلاكه المقدرة الشاملة لإبطال تأثير "اليد الشريرة" التي يمكن ان تكون قد "مست" المريض.

وحيث أن هذه الطقوس تشكل نظاما متكاملا من العلاج الروحاني فقد كان على "الأشيبو" أن يدعم تمتمته وترديده التعويذات ألمختلفة بممارسة مراسيم مختلفة من السحر مثل عمل التعويذات والحجابات من دمى الطين واستخدام المبخرة لأحراق البخور واسترضاء الآلهة بإراقة الدم او الخمر في الاوقات ألمناسبة.

وهناك ما يشير الى ان هذه المهنة قد تطورت لاحقا في الفترة البابلية القديمة حيث صاحب "الأشيبو" في جولاته مساعد له يطلق عليه اسم "بارو barû" كان عليه التنبؤ بالوقت الذي سوف يتعافى فيه المريض والايام المفضلة او غير المفضلة لحصول ذلك. وقد جاء مثال على تعاونهما من قصة "المعذب ألصالح" ألمدعو "لودلول Ludlul" التي تُقص علينا في لوحين من الواح الطين وفيهما يشكو "لودلول" من حاله عندما لم تفلح جهود هذين ألمعالجين في تخفيف مرضه فيقول:

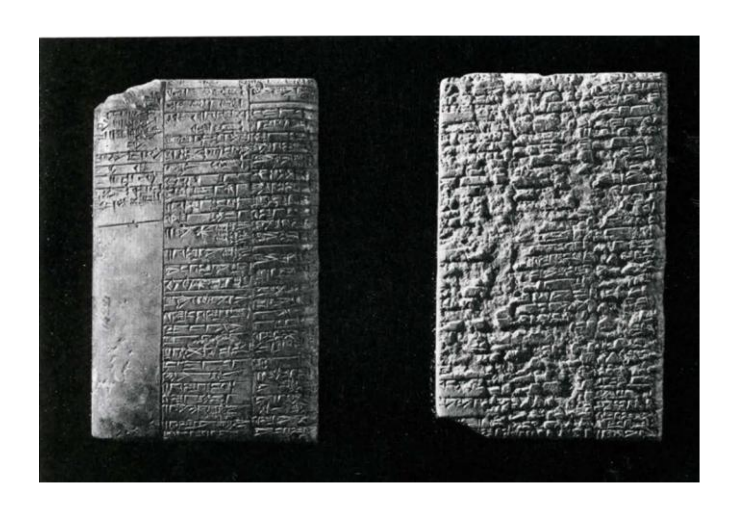
"لم يفلح "بارو" في نبوءاته ولا مفسر الاحلام في شرح علتي فطلبت العون من رب الاحلام "زاكيكو zaqīqu" ولم ينورني. ولم يُحلني "الأشيبو" من غضب الآلهة بطقس من طقوسه" وخاف "الأشيبو" من اعراضي واضطرب "البارو" من نُذره. لم يقدر "الأشيبو" على تفسير ما هو مرضي ولا استطاع "البارو" ان يخمن مدة علتي" [24].

العقاقير والعلاجات السومرية الأخرى

في الوقت الذي لم يصلنا إلا النزر اليسير من النصوص السومرية في ذكر الوصفات العلاجية والعقاقير التي جرى استخدامها في تلك الفترة هناك كم كبيرمن هذه النصوص من الفترات اللاحقة التي تشهد بالتقدم

الكبير الحاصل في هذا المجال. فقد أكتشفت المئات من النصوص الطبية المكتوبة باللغة الاكدية تعود الى الالفية الأولى ق.م إلا ان تلك النصوص استخدمت الكثير من التعابير والمفردات الطبية السومرية مما يزيل الشك بأن جذور تلك المعلومات كانت موجودة بشكل او بأخر عند السومريين، وإذ لم يتم التوصل اليها لحد الان فقد يكون ذلك بسبب محدودية عدد الالواح الطينية المكتشفة الخاصة بهذا الموضوع علما بأنه لم يتم التعرف سوى على لوحين فقط من الالواح الطبية السومرية لحد الان.

اما اللوح الأول فقد قام الباحث ميكول سيفل "Miguel Civil" بترجمته ونشره عام 1960 وتضمن وصفة يعتقد انها لعلاج أحد الامراض الزهرية، وفيها يتم فرك العضو المصاب بمسحوق درقة السلحفاة ثم دهنه بالزيت وبعدها يجري غسله بالبيرة ومن ثم بالماء ليتم بعدها إضافة نشارة الخشب الناعمة فوق البقعة المصابة. وتحدد الوصفة بأنها كانت لعلاج "التون tun" و " النو nu" المصابين. اما "التون" و"ألنو" فهما العضوين الذين استخدمت الوصفة لعلاجهما ولم يتوصل الباحثون للتعرف عليهما بالضبط [25]. ولعل اللوح الثاني المكتشف في تنقيبات مدينة نيبور والمحفوظ الان قي مجموعة متحف جامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا هو اهم واثمن ما وصلنا من نصوص في هذا المجال. اما تأريخ هذا اللوح فيعود ألى حوالي (2600) عام ق.م ويبلغ طوله ستة عشر سنتيمترا وعرضه تسع سنتيمترات وكُتب باللغة الاكدية بأسلوب من أوائل الفترة السرجونية (الشكل 1). ومَثل هذا الاكتشاف مفاجأة كبيرة لعلماء السومريات الذين توقعوا ان يخص الزراعة وليس الطب فهو أول "دليل " لدينا من هذا النوع فقد كانت الزراعة هي الدعامة الاولى للاقتصاد السومري والمصدر الأساسي لثروته ورفاهيته وأن أساليب وتقنيات الزراعة قد تطورت بالفعل بشكل كبير قبل الألفية الثالثة قبل الميلاد، ومع ذلك فأن "دليل الزراعة" الوحيد الذي ظهر حتى الآن يعود إلى أوائل الألفية الثانية قبل الميلاد. وكان "دليل ألزراعة" هذا قد كُتب في حوالي 1700 ق. م وتم العثور عليه في حفريات مدينة نيبور أيضا خلال التنقيبات التي جرت في1949-1950 [26].



الشكل 1: لوح طيني يعود الى 2600 ق. م يحتوي على عدد من الوصفات والعقاقير العلاجية أكتُشف في نيبور (محفوظ في متحف جامعة بنسلفانيا برقم B 14221) [26].

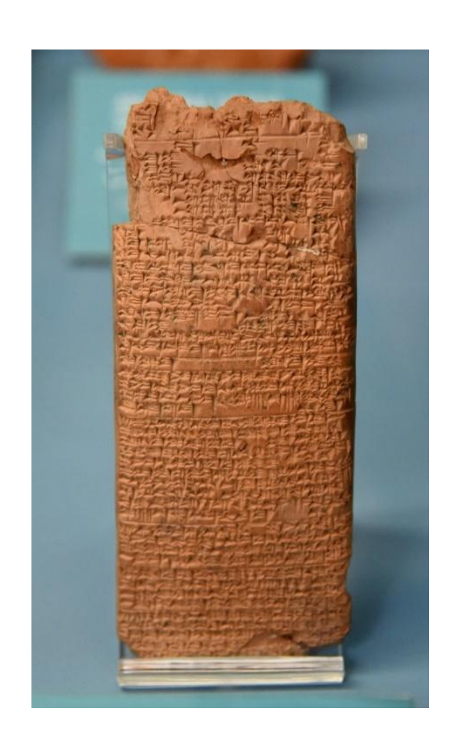
يرجع الفضل في ترجمة دليل الوصفات الطبية موضوع البحث الى عالم الاثار صموئيل نوح كريمر بمساعدة من مارتن ليفي المعروف بكتاباته في تأريخ علم الكيمياء. ولسوء الحظ فأن أحد وجهي اللوح قد أصابها التلف عدا بعض السطور القليلة غير ان الوجه الثاني لازال بحالة مقروءة وجيدة. وللتعريف بتفاصيل هذا النص لابد من الرجوع بصورة أساسية الى ما كتبه كريمر عنه في كتابه "التاريخ يبدأ في سومر". فقد كان النص مكونا من مائة وخمسة واربعون سطرا وحوى على خمسة عشر وصفة طبية مختلفة كانت منها وصفات لمراهم وأخرى لعقاقير وشرابات تؤخذ عن طريق الفم. وذهب الطبيب السومري في كتابته لهذه الوصفات وكما هو الحال بالنسبة لقرينه الحديث الى مصادر نباتية وحيوانية ومعدنية فقام بتركيب الوصفات الطبية منها. وكانت المعادن المفضلة ملح الطعام ونترات البوتاسيوم او ألملح الصخري، في حين استغل الحليب وجلد الافاعي واصداف السلحفاة من مصادرها الحيوانية، واستفاد من النباتات مثل القرفة والآس والحلتيت وهو صَمغٌ راتنجيّ كريه الرائحة، ويعرف بأَبي كبير والزعتر ومن الشجر اخذ الصفصاف والكمثرى والقشور والتين والتمر كما تم تحضير العقاقير من البذور والجذور واللحاء والصمغ التي جرى خزنها بشكل مساحيق او مراهم او محاليل ومرشحات كما هو الحال في هذه ألايام أيضا. وكانت المراهم تستخدم استخداما خارجيا على شكل كمّادات بينما كانت السوائل والمحاليل الأخرى تؤخذ كشراب. وفي تعليمات تركيب أحد المراهم على سبيل المثال ورد بأن يتم طحن العناصر الأولية من خشب شجرة الكمثرى ونبات القمر (!) ثم خلطها مع بعضها ومزجها بنبيذ "الكوشووما kushumma" ليُرش فوقها بعد ذلك زيت شجر الأرز الساخن[27]. كما جاء في وصفة لمرهم اخر بأن يطحن طين النهرالجاف ويُعجن المسحوق مع الماء والعسل ويُرش على الخليط زيت "البحر" بدلا من زيت الشجر ثم يستعمل الخليط على شكل كمَادة فوق العضو المصاب. اما المحاليل فكانت أكثر تعقيدا وجاءت مع وصفات تلك المحاليل تعليمات استعمالها في العلاج. فبحسب النص السومري لتحضير ثلاث أنواع من المحاليل على الأقل يجري في البداية غلي المادة الأولية مع الماء والحصول على خلاصاتها ثم يتم بعدها إضافة الاملاح والمواد القاعدية ربما للحصول على مزيد من الخُلاَصَة المطلوبة، ولفصل المواد العضوية يجري ترشيح المحلول ويُعّد للاستعمال بعد ذلك. وعلى الرغم من عدم ذكر طريقة الاستعمال بوضوح في أي من الوصفات الطبية تلك فلابد ان ذلك قد تم برش المحلول فوق العضو المصاب او غسله به ليجري بعد ذلك فركه بالزيت وربما إضافة مادة أخرى فوقه. أما عن العقاقير التي على المريض بلعها فعادة ما كانت البيرة هي الوسيلة التي تستعمل لجعلها مستساغة المذاق فحينئذٍ تُطحن المواد الاولية ويُذاب مسحوق المزيج في البيرة ليشربها المريض بعد ذلك. وقد وردت أشارة الى احدى الحالات التي أذيب فيها الدواء بالحليب والبيرة معا بينما استُعمل زيت "مجهول" كسائل مخفف قبل تناول الشراب.

لذا فأن النص الوارد في هذا اللوح الطيني الذي يعود الى الألفية الثالثة قبل الميلاد يوضح تمام الوضوح

بأن علم العقاقير السومري كان قد أحرز تقدمًا كبيرًا في ذلك الوقت ويكشف بشكل غير مباشر عن معرفة واسعة بعدد لا بأس به من العمليات الكيميائية المعقدة بعض الشيء. ففي العديد من وصفات العقاقير كانت التعليمات تقضي بتنقية المواد الأولية من الشوائب قبل طحنها وهي خطوة تتطلب عدة عمليات كيميائية. ومثال على ذلك استعمال أحد المساحيق من مادة أولية قلوية لهذا الغرض يتم الحصول عليها بشكل رماد قلوي غني بالصودا وذلك من حرق عدد من النباتات من المرجح انها من نوع أبو رجل" fruticosa Salicornia " من عائلة النباتات المسماة "رجل الإوز" "Chenopodiaceous " [28].

مما تقدم لانشك بأن استعمال العديد من العقاقير يعكس الخبرة الطويلة الأمد لدى القدماء في الخصائص العلاجية للنباتات والمعادن والمصادر الأخرى التي استُخرجت منها والثقة باستعمالها وأن نتائجها كانت واضحة لديهم مثل استعمال الملح كمادة مطهرة والملح الصخري كعقار مضاد للامساك، ولم يكن ليتسنى للطبيب السومري وصفها إلا من خلال بعض المعرفة بالكيمياء.
وبصورة عامة فالملاحظ ان الوصفات التي وردت في هذا اللوح على الرغم من التفاصيل التي اوردتها فهي تعاني من نقص واحد فهي تفشل في تحديد كميات المواد الأولية المستعملة في تركيبها بالإضافة إلى مقدار الجرعة وتكرار مرات استخدام الدواء. وقد يكون اغفال ذلك قد جاء عمدا بنتيجة "المنافسة المهنية" حيث ربما أخفى الطبيب السومري عن قصد هذه التفاصيل من أجل حماية أسراره من الجماعات غير المتخصصة أو ربما على الأرجح من زملائه وترك امر اكتشاف ذلك للأخرين في سياق التحضير الفعلي والاستخدام العملي لها. اما الامر المهم جدا فهو اغفال هذا اللوح ذكر أي من التعويذات والطلاسم السحرية لطرد الأرواح الشريرة كما غاب ذكر أي من الالهة فيه مما يعني بأن بأنه كان مخصص للعقاقير واستعمالاتها حصرا [29][30].

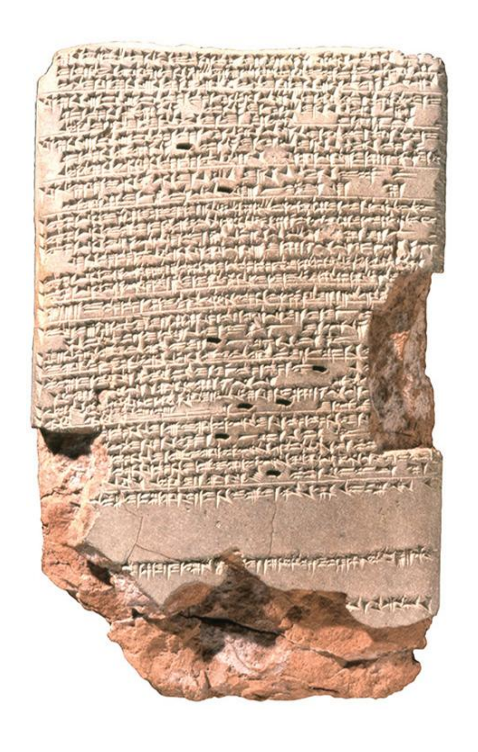
وفي الخلاصة يمكن القول بأن السومريين أورثوا من بعدهم البابليين كنوزا من المعرفة والعلوم ومنها تركيب العقاقير واستعمالاتها للتطبيب ولم يألو هؤلاء جهدا في تطوير هذه العلاجات وأضافوا عليها الشيء الكثير أيضا [31]. ففي اكتشاف أخر من حفريات مدينة نيبور لفترة بابل القديمة تم العثور على لوح طيني نُقشت على وجهه الأول ثمانية وصفات علاجية مختلفة اما وجهه الثاني فكان مكتوب عليه عدد من التعويذات (الشكل 2)، ومن تلك الوصفات كان هناك واحدة لعلاج التسمم وتتكون من خليط من خردل وفستق ومكسرات وشراب حلو المذاق إضافة الى مسحوق الطحين المحمص مع الزعتر ونبات الباريراتو(!) والنبيذ ويصب الخليط في طاس صغير ويتم مسح الجلد به فيبرأ المريض [32].



الشكل : لوح طيني طبي من نيبور (1800 ق. م) نقشت عليه وصفات علاجية بدنية وروحانية ومحفوظ في متحف الشرق الأدنى في اسطنبول[32] .

أتّبع البابليون نفس الخطوات في الربط بين الدين والطب واستعمالات الدواء وسلكوا نفس طرق العلاجات البدنية والروحانية التي مشى عليها السومريون من قبلهم كما تشير الى ذلك المكتشفات من النصوص التي تعود للفترة البابلية، وليس هذا فحسب بل في جمع وفهرسة المعلومات الطبية كذلك، فقد اكتُشفت مجموعة من النصوص المسمارية ألمكتوبة باللغة الأكدية تدرج مئات من المواد العلاجية الفعالة أضافة ألى أن دليل التشخيص الطبي الذي يعود في تاريخه الى الفترة البابلية الحديثة في حوالي القرن السادس قبل الميلاد والمسمى "دليل كل الامراض - زاكيكو Sakikku" الذي يتكون من اربعين لوحا احتوت على ملاحظات تشخيصية دقيقة من قبل أطباء لأمراض مثل الصرع "ميكتو miqtu " أو "مرض السقوط على الارض" فيشرح التفاصيل الدقيقة لأعراض هذا المرض العصبي ويقدم التشخيص الأولي عن أسبابه كما ينسب أنواعًا متعددة من النوبات إلى أرواح مختلفة كأن يقول مثلا:

"اذا ما مسه الشيطان (الصرع) سبع مرات في يوم واحد فأنه قد لاحقه سبع مرات وان روح قاتل قد مسته فهو سيموت" [33].



الشكل : من الواح دليل كل الامراض "زاكيكو" يعود لسلالة بابل الثانية في القرن السادس ق.م مكتوب باللغة الاكدية المسمارية (محفوظ في المتحف البريطاني) [33].

وغني عن القول فأن اختيار بعض النباتات الطبية التي وردت في العديد من الوصفات العلاجية استند أيضا على أسس دينية فقد سجلت ألباحثة الاسبانية الدكتورة بربارة بوييك "Barbara Boeck" من معهد لغات وتراث البحر الأبيض المتوسط والشرق الأدنى في مدريد ما يقرب من ستين من التعويذات العلاجية التي تُليت لضمان فعالية العلاج والتطبيب. ومن الأمثلة على النباتات الطبية المرتبطة بالمعتقدات الدينية ما كان يعرف عند السومريون باسم نبات " كلب نيني گيزيبارا Ninigizibara’s dog" المرتبط باسم الربة " گولّا"، فقد اوحت العلاقة بين الكلاب وهذه الآلهة بأن هذا النبات له قدرة شفاء عدد من الحالات المرضية التي تسببها الكلاب. كما ان معتقد السومريين حول تحكم الالهة " گولّا" بتنظيم سوائل البدن جعلهم يعمدون الى استعمال عقاقير اعتقدوا بفائدتها. وفي ذات الوقت قاموا بتلاوة التعاويذ والصلوات المختلفة لها من اجل شفاء الامراض المرتبطة بالمرارة وعصارة الصفراء واضطرابات الأمعاء والجهاز الهضمي عامة، ولم تكن تلك العقاقير إلا عبارة عن نباتات طبية من مقيئات أو ملينات [34].

من كل ماتقدم يمكن القول بكل ثقة بأن الطب السومري الذي نشأ وتطور في محيط متدين شديد التحفظ يؤمن بقدرات ألآلهة الخارقة كان قد أصبح عندهم مهنة راسخة شملت تشخيص المرض ووصف العلاج وتركيب الدواء وذلك في زمن قبل ان يأتي وصف الجروح وعلاجها في الياذة هوميروس (1700 ق.م)، وقبل ان تُكتب اول وصفة دواء على البردية الفرعونية التي اكتشفها ادوين سميث في مصر (1600 ق.م)، وقبل اكثر من ما يزيد عن الف وخمسمائة سنة على ولادة "أبوقراط " أبو الطب الغربي (460

ق.م). فأذا ما عانى هذا الطب من تداخل الروحانيات والغيبيات معه فهو امر قابل للفهم، فلم يكن العقل السومري ليدرك إلا حقيقة واحدة هي ان الانسان هو صنيعة الالهة وهي وحدها من يحدد مصيره. ولا عجب في ذلك حيث لم يبدأ العالم بالفصل بين العلم والدين إلا من خلال حركة التنوير في أوروبا التي بدأت مع نهايات القرن السابع عشرلتضع اطار جديد للتفكير بترك الأفكار اللاعقلانية والخرافة والخيال نحوالتجديد والتحديث واستخدام العقل والتفكير العلمي.

المصادر

[1] Guthrie D. “A History of Medicine”. Chapter 1, PP 2-4. First published June 1945
https://ia800308.us.archive.org/22/items/historyofmedicin035119mbp/historyofmedicin035119mbp.pdf

[2] Teall E K. “Medicine and Doctoring in Ancient Mesopotamia”. (2014) Grand Valley Journal of History: Vol. 3: Issue 1, Article 2. Available at:
https://scholarworks.gvsu.edu/gvjh/vol3/iss1/2 or

https://scholarworks.gvsu.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=1056&context=gvjh

[3] Kramer S N. “History Begins at Sumer- Thirty-Nine First Recorded in History”. Chapter 10, Page 60. University of Pennsylvania Press. 1956

https://www.academia.edu/37432566/History_Begins_at_Sumer_Thirty_Nine_Firsts_in_Recorded_History

[4]Majno G. “The Healing Hand: Man, and Wound in the Ancient World”. Cambridge: Harvard University Press 1975, Chapter 2, Page 36.

https://medlib.bsmu.edu.ua/wp-content/uploads/2019/05/39.1.pdf

[5] Britannica, the Editors of Encyclopaedia. "Bau". Encyclopaedia Britannica; 22 Jan. 2016. **Accessed** on 21st March 2023.
https://www.britannica.com/topic/Bau-Mesopotamian-deity

[6] Britannica, The Editors of Encyclopaedia. "Lamashtu: Mesopotamian demon". Encyclopaedia Britannica, May 04, 2016. Accessed 21 March 2023 https://www.britannica.com/topic/Lamashtu

[7] Robson E. "Mesopotamian medicine and religion: current debates, new perspectives".

https://www.academia.edu/1261680/Mesopotamian_medicine_and_religion_current_debates_new_perspectives

[8] Pangas J C . "Dental Pathology in Ancient Mesopotamia". Bulletin of the History of Medicine. Vol. 73, No. 2 (Summer 1999), pp. 197-207 (11 pages)

https://www.jstor.org/stable/44445977?read-now=1&seq=6#page_scan_tab_contents

[9] Dental care of Northfield. "Trusted and Comfortable Dental Care". Accessed on 4 April 2023.
https://northfield.dental/a-fun-timeline-of-early-dental-history/

[10] American Dental Education Association. "History of Dentistry". Accessed on 4 April 2023.

https://www.adea.org/GoDental/Health_Professions_Advisors/History_of_Dentistry.aspx

[11] Güner E, Şeker K G, Ş İzmir Ş. "Why is the Medical Symbol a Snake?" Istanbul Med J 2019; 20(2): 172-5

https://www.researchgate.net/publication/332432133_Why_is_the_Medical_Symbol_a_Snake

[12] Yun S. "Mother of her Son: The Literary Scheme of the Adad-Guppi Stele". 1 January 2017 'Akademiai Kiado Zrt.

https://core.ac.uk/download/pdf/129703513.pdf

[13] Fales M, “Anatomy and Surgery in Ancient Mesopotamia: A Bird’s-eye View”. (2016) In Hélène Perdicoyianni-Paléologou (Ed.) Anatomy and Surgery from Antiquity to the Renaissance. Amsterdam (Adolf M. Hakkert), 3-71

https://www.academia.edu/22908506/2016_Anatomy_and_Surgery_in_Ancient_Mesopotamia_A_Birds_Eye_View_in_H%C3%A9l%C3%A8ne_Perdicoyianni_Pal%C3%A9ologou_Ed_ANATOMY_AND_SURGERY_FROM_ANTIQUITY_TO_THE_RENAISSANCE_Amsterdam_Adolf_M_Hakkert_3_71
or
https://www.academia.edu/30895375/ANATOMY_AND_SURGERY_FROM_ANTIQUITY_TO_THE_RENAISSANCE

[14] Stol M. “Fever in Babylonia” .Vrije Universities, Amsterdam.2006

https://www.academia.edu/48737596/Fevers_in_Babylonia

[15] World Health Organization. “The unified medical dictionary: English French-Arabic”. The Regional Office for the Eastern Mediterranean & Librairie du Liban Publishers. (2009)

https://apps.who.int/iris/handle/10665/119895?locale-attribute=ar&locale=ru

[16] Anthony P A. “Infectious Diseases in the Sumerian and Indus Valley Civilisation- Medical History Perspective of Ancient History”. PP. 56-60. Thesis submitted in fulfilment of the requirements for the degree of M. Phil. Department of Infectious Diseases and Microbiology. School of Medicine, Western Sydney University. 2021

https://researchdirect.westernsydney.edu.au/islandora/object/uws:68391/datastream/PDF/download/citation.pdf

[17] ibid. PP. 76

[18] Weiss H, M, Courty M. A, Wetterstrom W, F. Guichard W F.Senior L, R. Meadow R, Curnow A. “ The Genesis and Collapse of Third Millennium North Mesopotamian Civilization”. Science, New Series, Vol. 261, No. 5124 (Aug. 20, 1993), pp. 995-1004

https://www.academia.edu/4072352/The_Genesis_and_Collapse_of_Third_Millennium_North_Mesopotamian_Civilization

[19] Niazi A. D. “Plague Epidemic in Sumerian Empire, Mesopotamia, 4000 years ago”. Iraq Postgraduate Medical Journal. Volume 13, Issue 1, Winter 2014, PP 85-90.

https://www.iasj.net/iasj/download/8a1dcc441979a3f0

[20] Majno G. "The Healing Hand: Man and Wound in the Ancient World". Cambridge: Harvard University Press. 1975. (2) 40.

https://medlib.bsmu.edu.ua/wp-content/uploads/2019/05/39.1.pdf

[21] Ali N A, Al-Hijaji M. “Surgery Perils in Ancient Mesopotamia”. The Scientific Journal of Medical Research. Vol. 3, Issue 11, pp 91-94, 2019.

https://www.researchgate.net/publication/340028758_Surgery_Pearls_in_Ancient_Mesopotamia#fullTextFileContent

[22] ADAMSON P B. “Medical History”, 1991, 35: 428-435.

https://www.cambridge.org/core/services/aop-cambridge-core/content/view/C0C234675E2B0397AE4C7D8AE1227CF4/S0025727300054181a.pdf/surgery_in_ancient_mesopotamia.pdf

[23] Fales M. “Anatomy and Surgery in Ancient Mesopotamia: A Bird’s-eye View”. In “Anatomy and Surgery from Antiquity to the Renaissance, Edited by Hélène Perdicoyianni-Paléologou .November 20. 2014. PAGE 20.

https://www.academia.edu/22908506/2016_Anatomy_and_Surgery_in_Ancient_Mesopotamia_A_Birds_Eye_View_in_H%C3%A9l%C3%A8ne_Perdicoyianni_Pal%C3%A9ologou_Ed_ANATOMY_AND_SURGERY_FROM_ANTIQUITY_TO_THE_RENAISSANCE_Amsterdam_Adolf_M_Hakkert_3_71

[24] Worthington M. “Some Notes on Medical Information outside the Medical Corpora” PP 67- 69 in “Advances in Mesopotamian Medicine from Hammurabi to Hippocrates”. Proceedings of the International Conference “Oeil malade et

mauvais oeil," College de France, Paris, 23rd June 2006 edited by Annie Attia and Gilles Buisson with the collaboration of Markham J. Geller. LEIDEN-BOSTON. 2009.
https://www.academia.edu/73559417/Some_Notes_on_Medical_Information_Outside_the_Medical_Corpora

[25] Civil M. "A new Sumerian medical prescription". Rev Assyriol. Archae. Orient. 1961; 55:91-4. English. PMID: 17288052.

[26] Legrain L. "Nippur Old Drugstore." Museum *Bulletin* VIII, no. 1 (January 1940): 25-27. Accessed March 23, 2023.
https://www.penn.museum/sites/bulletin/2163/

[27] Time Magazine. "Medicine: Kushumma & Kushippu". Monday, Oct. 05, 1953
https://content.time.com/time/subscriber/article/0,33009,858342,00.html

[28] عيسى: د أحمد. "معجم أسماء النبات (عربي - إنكليزي - فرنسي - لاتيني)
http://shiabooks.net/library.php?id=14985

[29] Kramer S N. "History begins at Sumer; Thirty-Nine Firsts in Recorded History". PP.60- 64. University of Pennsylvania Press Philadelphia. Third revised edition ©1981.
https://www.academia.edu/37432566/History_Begins_at_Sumer_Thirty_Nine_Firsts_in_Recorded_History

[30] Kramer S N. "The Sumerians. PP 93-99
https://oi.uchicago.edu/sites/oi.uchicago.edu/files/uploads/shared/docs/sumerians.pdf

[31] Wikipedia, the free encyclopedia. **"**History of medicine". October 2022. Accessed 18 March 2023
https://en.wikipedia.org/wiki/History_of_medicine

[32] Muhammad Amin O S. "Medical recipe concerning poisoning". Wikimedia Common. Accessed 18th March 2023. https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Medical_recipe_concerning_poisoning._Terracotta_tablet,_from_Nippur,_Iraq,_18th_century_BCE._Ancient_Orient_Museum,_Istanbul.jpg

[33] Unanimous. " Medicine". Archaeology. A publication of the Archaeological Institute of America. May/June 2016. https://www.archaeology.org/issues/213-1605/features/4364-cuneiform-medicine

[34] Boeck B. "Investigating the healing arts of Ancient Mesopotamia". Research Outreach. October 28, 2020

https://researchoutreach.org/articles/investigating-healing-arts-ancient-mesopotamia/

Sumerian Medicine and Materia Medica

Nasrat Adamo
12 April 2023
Sweden

Abstract

Ancient history of Mesopotamia reveals that medicine in Sumer, which originated and developed in a very conservative religious environment believing in the supernatural powers of the gods, had become a well-established profession by the end of the second millennium BC and included diagnosing disease, prescribing treatment, and formulating medicine. Two kinds of healers had taken up this job; the first was the

"Asu" dealing with physical ailments using drugs, ointments, and solutions which he had learned to make and use in the "eduba" school or inherited from his forefathers, and made them from various plant, animal, and mineral sources; the second was the "Ashipu" who practised spiritual treatment which relied on religion, magic, talisman, incantation, and amulets as its basis. There was no clear line separating the two and there were instances when the two practitioners cooperated together to deal with same diseases. But both methods may have arisen at the same time extending to deep history and roots of primitive man. We learn from the few clay sumerian tablets uncovered up to the present time the presence of significant health risks that required medical care. In addition to endemic diseases such as Malaria outbursts of endemics such as Cholera and Plagues, other health hazards were present due to food poisoning, water hazards, bad sanitation, parasites, and animals such as snakes, scorpions, rabid dogs, and poisonous plants as well. Moreover, sumerians knew mental diseases caused by states of sadness, anxiety, depression and even epilepsy. The "Ashipu" could contribute with his medicine here as he did in the other forms of illness also. The sumerian medicine, as primitive as it may look now, was very advanced by all scales of their time. They handed down their knowledge to the Babylonians who pursued the same lines of treatment and added tremendously to what they had received.

Keywords: second millennium BC, Asu, eduba, Ashipu, Malaria, Cholera, Plague, mental diseases, epilepsy